على الارض التي تضم هذا الزمان المثمر ، ان هذه الحكاية بالاضافة الى تكريسها لمفهوم التحلل والذوبان في صميم الارض ، تكرس أيضا مفهوم « الشجرة » واثمارها وضرورة المحافظة عليها ، وكل الحيثيات المصاحبة لذلك من ارتباط بالارض ودفاع عنهـــا .

وقد أدهشني في هذه الحكاية حقـــا الاشارات الواضحة التي قدمتهـــا للمؤامرة الصهيونية على الارض الفلسطينية ، فتآمر التاجر اليهودي على الشجرة هـــو رمز للتآمر الصهيوني على الفلاح الفلسطيني وعلاقته الحميمة بأرضه ، وقد جعلت الحكاية من هذه العلاقة مصدر اثراء وسر غناء هذا الفلاح، وهو ما عمل التاجر اليهودي جهده للقضاء عليه بمختلف الاساليب الماكرة والشريرة .

اما « حكاية اختين » ففيها نجد حب الزراعة ـــ فصولها وطقوسها ـــ رمزا للخصب والاثراء كما نجد كراهية العمل الزراعي وطقوسه مرادفة للموت والفنـــاء ، فالاخت الفقيرة التي تلتمس قوت عيالها لدى أختها الغنية فتفشل تلتجيء الى الطبيعة حيث يقودها الراعي الى تجربة امتحان يثبت من خلالها حب هـــذه المرأة للطبيعة ـــ جنة الصيف وجنة الشتاء ـــ والجنتان هنا كما فهمتهما رمزان للاعمال الزراعية الصيفية والشتوية ، ويقوم الراعي بمكافأة المرأة على ذلك ـــ حبها للمواسم الزراعية ـــ بكيس مملوء بأوراق التين التي تتحول في بيت المرأة الى ذهب ـــ لاحظ هنـــا دلالة أوراق التين ـــ وفي المقابل تكافأ المرأة الاخرى التـــي أبدت احتقارها للزراعة وطقوسهـــا وفصولها بكيس من أوراق التين الجافة ولكنها تتحول في بيت هذه المرأة الى زنابير تلسع الام وأولادها حتى الموت ، وهكذا يغدو حب الارض والفصول الزراعية مرادفا للغنى والحياة وتغدو كراهية الزراعة وطقوسها مرادفة للموت والعدم .

وبعد ، فهذه هي بعض ملامح الارض في الحكايات الشعبيـــة الفلسطينية وبعض الدلالات التي رأيت من خلالها ان هذه الحكايات تنفرد بشكل أو بآخـــر ، ورغم كون الارض في الحكايات الشعبية عادة مجرد مفهوم مجرد « للمكان » ـــ في ابراز جغرافية الارض الفلسطينية وأسماء الاماكن والمدن والقرى اثنـــاء تحرك ابطال الحكايات ، وتعطي تحديدا صارما لموقع هذه الارض على خارطة العالم العربي كمكان يتوسط مصر والشام .

كما أن هذه الحكايات ـــ حكايات المهاجر والمنافي ـــ تؤكد على استمرارية وجـــود الارض الفلسطينية في ذاكـــرة الانسان الفلسطيني ـــ راوي الحكاية ـــ وعلى جعل العودة الى هذه الارض هاجسا دائما في وعي ولا وعي هذا الانسان يتساوى في ذلك أبطال الحكايات في حنينهم الدائم لارضهم ورواة هذه الحكايات في الاحتفـــاظ بأسماء الاماكن والمواقع الفلسطينية وفي بدء أو انهاء الحكايات بالتمني على القدر ان يحقق عودتهم الى أرضهم ، ثم ان هذه الحكايات تؤكد علـــى ارتباط الانسان الفلسطينـــي بالعمل الزراعي جاعلة من هذا العمل الديالكتيك الاولـــي والبديهي لارتباط الانسان بأرضه .

وحتى في الحكايات الخرافية نلمس تأكيدا على معتقدات من شأنها ان تكرس المزيد من الالتصاق بالارض والفناء والتحلل فيها كمعتقدات الدفن والانبعاث والصيرورة الى كنوز أو أشجار تثمر الذهب والجواهر ، وذلك هو ما يعطي بدوره التفسير الواضح لاستمرارية تمني الانسان الفلسطيني في المهاجر والمنافي العودة الى ارضه ولو لمجرد أن يدفن فيها .